

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصّلت: 46]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

أفعال الله
قائمة على
صراطٍ مستقيمٍ
وقانونٍ قويٍّ

لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي شَأْنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْوَحْيِ، وَأَنَّهُ لَا مَانِعَ لَهُمْ مِنَ الْمُواخَاذَةِ وَالْحِسَابِ إِلَّا أَنْ يَبْلُغُوا الْأَجَلَ الْمُسَمًّى؛ ذَكَرَ هُنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْقَانُونَ الْعَامَّ وَالْأَصْلَ الثَّابِتَ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْهِ الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾: (عبد) أصلان صحيحان، كأنَّهما مُتضادَّانِ، الْأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى لَيْنٍ وَذُلٍّ، وَالْآخَرُ عَلَى شِدَّةٍ وَغِلَظٍ⁽¹⁾. والمعنى المحوري: حَصْرٌ شَدِيدٌ لِلشَّيْءِ يَجْعَلُهُ رَقِيقًا رَخْوًا نَاعِمًا غَيْرَ صُلْبٍ وَلَا خَشِنٍ⁽²⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: الْعُبُودِيَّةُ: إِظْهَارُ التَّذَلُّلِ، وَالْعِبَادَةُ أَبْلَغُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا غَايَةُ التَّذَلُّلِ، وَلَا يَسْتَحَقُّهَا إِلَّا مَنْ لَهُ غَايَةُ الْإِفْضَالِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى⁽³⁾. وَمِنْ ذَلِكَ: (الْعِبَادُ) وَ(الْعَبِيدُ) جَمْعُ (عَبْدٍ)، وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ وَاضِحٌ.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

الله غنيٌّ لا
يتأثر بالمنافع ولا
بالضرار، إنما
يتأثر المخلوق

مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا صَالِحًا فَاطَاعَ اللَّهَ وَآمَنَ بِرُسُلِهِ وَلَمْ يُكَذِّبْهُمْ، فَتَوَابَ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ، وَنَفَعَهُ خَاصٌّ بِهِ⁽⁴⁾؛ فَاللَّهُ لَا يَنْفَعُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنْ أَحَدٍ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا سَيِّئًا فَضُرَّرَ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ، فَاللَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَيُجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ، وَمَا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).

(2) محمد جبل، اللّجَمُ الاِشْتِقَاقِيّ: (عبد).

(3) الرَّاغِب، الْمَفْرَدَات: (عبد).

(4) الْقَوَّجِي، فَتَحُ الْبَيَان: 262 / 12.

رُبُّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بظُلَامٍ لِعَبِيدِهِ، فلن ينقصهم حسنةً، ولن يزيدهم سيئةً⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

موقع جملة: ﴿مَنْ عَمِلَ﴾ ممّا قبلها:

جملة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ تذييلية تُفيد التوكيد والتقرير للمعنى السابق في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأُخْتَلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾⁽²⁾. وهذا التذييل أفاد التعليل والتوكيد والبيان.

مَنْ عَمِلَ أَنْ
عَمَلَهُ لِنَفْسِهِ
اجتهد فيه

فجملة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ في موقع التعليل الضمني لحكمة الاختلاف الذي وقع في بني إسرائيل حول كتاب موسى، وكذلك لحكمة تأخير القضاء بينهم، كأنه علل ذلك بقوله: إن الاختلاف لا يضر إلا من أساء، ومن عمل صالحاً فتنفع عمله لنفسه. والتذييل بالجملة أفاد التوكيد أيضاً لمضمون جملة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ قبلها، فبعد ذكر الشك والاختلاف؛ جاء هذا البيان ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ ليؤكد أن وقوع الاختلاف بين الناس في الرسائل، لن يمر عبثاً دون قضاء وإن تأخر القضاء ليوم الحساب لكلمة سبقت من ربك، بل هو خاضع لسنة الجزاء الإلهي العادل، فمن عمل صالحاً من أولئك المختلفين فصدق وأمن فلنفسه، ومن أساء بتكذيبه للوحي والرسول فعلى نفسه وزرها، الكل سيحاسب: المؤمن والكافر.

وهذه الجملة التذييلية ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ في موقع البيان أيضاً، فيصح أن نجعلها استئنافاً بيانياً وقع جواباً لسؤال مُقدّر افتراض وُروده في ذهن السامع بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾

(1) مركز تفسير، المُختصر في التفسير.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/17، والآلوسي، روح المعاني: 12/382، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/318.

فَأَخْتَلَفَ فِيهِ، كأنه قيل: (ما مصيرُ المختلفين؟ وما قاعدةُ الجزاءِ عند الله؟)، فجاء البيانُ بهذه القاعدةِ العامة: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**.

معنى ﴿مَنْ﴾ في: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾:

تحديدُ الجزاءِ
خاضعٌ لاختيارِ
العبدِ

﴿مَنْ﴾ في قوله: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾** شَرْطِيَّةٌ أو موصولةٌ، فباعتبارها شَرْطِيَّةٌ، فالفاءُ في قوله: **﴿فَلِنَفْسِهِ﴾** هي الرابطةُ للجزاءِ بالشَّرْطِ، وباعتبارها اسمَ موصولٍ، فالفاءُ لِعَطْفِ مدخولها وهو **﴿فَلِنَفْسِهِ﴾** على صلةِ الموصولِ في قوله: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾**، أو الفاءُ زائدةٌ لتأكيدِ إلحاقِ مدخولها: **﴿فَلِنَفْسِهِ﴾** بجملةِ الجزاءِ، لِشَبْهِهَا بها، لكونِ الموصولِ مُضْمَّنًا معنى الشَّرْطِ، وباعتبارها زائدةٌ تكون جملةً **﴿فَلِنَفْسِهِ﴾** مُستأنفةً ممَّا قبلها مع تمامِ المناسبةِ واتِّصالِ المعنى⁽¹⁾.

غرضُ التَّعبيرِ بأسلوبِ الشَّرْطِ: ﴿مَنْ عَمِلَ﴾:

الشَّرْطُ يُؤَكِّدُ
على أهمِّيةِ
العملِ الصَّالحِ
كخيارٍ يُسْتَنْهَضُ
العبدُ إليه

التَّعبيرُ بأسلوبِ الشَّرْطِ في قوله: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾** لإظهارِ الكلامِ في صورةِ الوعدِ الذي يتحقَّقُ باستيفاءِ شَرْطِهِ من العملِ، وأكثرُ ما يُحفِّزُ النَّفْسَ، ويبعثُها على المُنَشَّطِ والتَّرقُّبِ والجاهزيةِ في كلِّ وقتٍ هو أنَّ ترتبَ بموعودٍ يؤزِّها إلى العملِ بمقتضاه، والقيامِ بشرطِهِ من الهدايةِ والإخلاصِ.

الغرضُ من تنكيرِ ﴿صَالِحًا﴾:

لا حقيرٌ ولا
صغيرٌ في العملِ
الصَّالحِ، وإنَّ
قلَّ في عينِ
العاملِ له

﴿صَالِحًا﴾ في قوله: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾** مفعولٌ به، أو صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ تقديرُهُ: (عملٌ عملاً صالحاً)⁽²⁾، والتَّنكيرُ فيه؛ للتَّساعِ في أبوابِ الصَّلاحِ فهي كثيرةٌ لا تكادُ تنحصرُ؛ فالتَّنكيرُ

(1) السَّمين، الدُّرُ لُصُون: 6/ 276، ودرويش، إعراب القرآن: 4/ 308، والخطيب، التَّفصيل في الإعراب: 6/ 261.

(2) درویش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 575.

إذن للشُّمول والعموم. وقد يكون للتَّنويع، وهو لا يخرج عن المعنى السابق؛ فالمراد هو شمول أنواع العمل الصالح جميعاً. والتَّنكير - أيضاً - يسوغ فيه معنى التقليل، فكلُّ عمل صالح وإن قلَّ لا يضيع سُدى؛ بل لا بدَّ أن ينتفع به الإنسان وإن صَغُر، ولم يَقُلْ: (مَنْ عمل العمل الصالح)؛ لأنَّ في التَّنكير إيجازاً دون إخلال بالشموليَّة ودون زيادة في الألفاظ.

عِلَّة اقتران الجواب بالفاء:

اقتَرَن جوابُ الشرطِ بالفاءِ وجوباً في قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾؛ لكون الجوابِ جملةً اسميَّةً، فلا تصلحُ أن تكون شرطاً، وكلُّ جوابٍ لم يصلح أن يقع موقعَ الشرطِ، وجبَ اقترانه بالفاءِ. والفاءُ هنا في الجوابِ في قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أفادَ بأنَّ ما بعدها مُسَبَّبٌ عما قبلها⁽¹⁾؛ أي: فنفع عمله لنفسه. فعمله الصالح سببٌ في منفعة نفسه. وفي هذا الموضع تحديداً: ليست هذه مهمَّةُ الفاءِ فحسب؛ بل تفيده - أيضاً - في تعيينِ الجزاءِ وإيضاحِ المعنى، لأنَّ حذفها يؤدِّي إلى الإلباسِ وعدم اكتمالِ المعنى؛ لأنَّه لو قيل بحذفِ الفاءِ: (مَنْ عَمِلَ صالحاً لنفسه) لكان (لنفسه) مُتعلِّقاً بـ ﴿صَلِحاً﴾، وبقي الكلامُ غيرَ تامٍّ، فلمَّا جيءَ بالفاءِ اتَّضح القصدُ وتمَّ المعنى⁽²⁾.

معنى اللام ودلائلها في: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾:

اللامُ في قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ حرفُ اختصاصٍ أفادَ معنى الملك والاستحقاق، كأنَّه قال: ثوابُ العملِ الصالحِ له استحقاقاً وامتلاكاً، كما يُقال: الغلامُ له والعبدُ له، أو اللامُ للتَّعليلِ؛ أي: فلا جُلِّ نفسه؛ أي: لنفعها. أو للعاقبة والصَّيرورة باعتبارِ أنَّ نفع النَّفسِ بالعملِ الصالحِ أو إضرارها بضدِّه قد لا يكونُ غرضاً

ما من عمل
إلا وله عاقبةٌ
ونتيجةٌ من
جنسه

الحساب
والجزاء قائم
على الفرديَّة،
فكلُّ مرهونٍ
بعمله

(1) ابن يعيش، شرح اللُّفصل: 5/ 111.

(2) السَّامرائي، معاني النَّحو: 4/ 106.

للفاعل، وهو المؤمن أو الكافر، فيكون النفع أو الإضرار مُرتبًا عن فعلِ الفاعلِ لا مُعللاً به⁽¹⁾.

معنى (على) ودلالتها في: ﴿فَعَلَيْهَا﴾:

السَّيِّئَةُ حِمْلٌ
ثَقِيلٌ عَلَى
النَّفْسِ

(على) في قوله: ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ للاستعلاء المجازي، وفي التعبير بـ(على) في جانبِ الإساءة تصويرٌ معنى الخصومة بين المُسيءِ ونفسِهِ، كأنه بإساءته قد استعلى على نفسه بالخصومة فأوْبَقَهَا وأرداها، فكان بذلك هو عليها، وكانت هي تحته مهزومة مقهورة⁽²⁾. وفي التركيب: استعارة تمثيلية، بتشبيه حالِ المُسيءِ مع نفسه، بحال مَنْ استعدى نفسه فهزَمَهَا بجنابةِ السَّوِّ وأمكنَ منها به. وفي ذلك تشبيهٌ للسَّوِّ بأداة مؤذية أَمَكَنَهَا في نفسه للاعتداء والإيذاء، فصارت ثابتةً عليها كما يثبتُ السَّلاحُ القاتلُ على رقبة الضحية فيحزها، وذلك التشبيهُ استعارة مكنية، كأنه قيل: (يفتك نفسه بالإساءة فتك السلاح بمن أصابه).

بلاغة الطِّبَاقِ مع العدولِ في النِّظْمِ:

الحَسَنَةُ
يُثَابُ عَلَيْهَا
بِعَمَلِ الْقَلْبِ
وَالْجَوَارِحِ،
وَالسَّيِّئَةُ بِعَمَلِ
الْجَوَارِحِ
فحسب

الطِّبَاقُ في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾... ﴿وَمَنْ أَسَاءَ﴾ يحملُ قيمةً بلاغيةً بديعةً؛ حيث جاء قوله: ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾ في مقابلةِ ﴿أَسَاءَ﴾، ولم يقل: (عَمِلَ سَيِّئًا)، وهذا العدولُ في النِّظْمِ يُضِيفُ للطِّبَاقِ معنىً أوسعَ وأدقَّ من مُجَرَّدِ التَّضَادِّ الظَّاهِرِيِّ.

فالطِّبَاقُ هنا يُفَرِّقُ المسؤوليةَ الفرديَّةَ وشموليَّةَ الجزاءِ باستيعابِ الطَّرَفَيْنِ الْمُتَقَابِلَيْنِ في عملِ الخيرِ أو عملِ الشرِّ، فَمَنْ اجْتَهَدَ في الخيرِ؛ فهو لنفسِهِ، ومن أهملَ أو أساءَ؛ فهو على نفسه.

ولو قيل: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فلنفسِهِ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئًا فعليها) لأوْهَمَ أَنَّ الإساءةَ مُنَحَصَرَةٌ في قصدِ العملِ السَّيِّئِ وملا بسِئِهِ. لكن

(1) الخضرى، من أسرار حروف الجرِّ، ص: 217، 259.

(2) الشَّعْرَاوِيُّ، تفسير الشَّعْرَاوِيِّ: 6261/10.

استعمال ﴿أَسَاءَ﴾ بدلاً من (عمل سيئاً) يفهم منه أن الإساءة أوسع من عمل السوء؛ فقد تقع الإساءة بالتَّرك كما تقع بالفعل، فمجرد ترك العمل الصالح يُعدُّ إساءةً، وليس فقط فعل الشر والتلبُّس بالسوء؛ أي إنَّ الإنسان قد يكون مُسيئاً بالإهمال والتقصير بترك العمل الصالح، لا بارتكاب المعاصي فحسب. وهذا من دقة التعبير القرآني، حيث لا يستخدم الطِّبَاق لمُجرّد الزخرفة الصوريّة في ظاهر التركيب؛ بل لتحقيق غايات بلاغيّة وفكريّة دقيقة.

الطِّبَاق بين ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾ و﴿أَسَاءَ﴾ يُشَوِّق السامع ويُنهضه للاستشراق والتساؤل: لماذا لم يقل: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئًا؟)، لماذا استعمال ﴿أَسَاءَ﴾ بدلاً من (عمل سيئاً)؟ فيكشف له أن الإساءة ليست مجرد عمل سيئ، بل قد تكون تركاً للخير أيضاً.

وقد يكون العدول في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ﴾: فلم يقل: (وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئًا)؛ لتقرير أن ثواب العمل الصالح يتحقّق بتحقيق النية إليه، وأمّا السيئة فلا تُكتب سيئةً بمجرد انتوائها والهَمُّ بها إلا بفعلها، فإن لم يفعلها لم تُكتب، فكان التعبير بالعمل في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ إشارة إلى معنى القصد والهَمُّ والعزم والإرادة والنية، وكان قوله: ﴿وَمَنْ أَسَاءَ﴾ إشارة إلى حصول السيئة بالفعل، وليس مجرد تحقُّقها في عمل القلب الذي هو القصد والهَمُّ. فبين بذلك أن الحسنّة يُثاب عليها بعمل القلب (قصدًا ونيةً) وبعمل الجوارح، وأمّا السيئة فيُجازى عليها بعمل الجوارح فحسب.

موقع جملة ﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ ممّا قبلها:

جملة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطْفٌ على مُقدِّرٍ مُقرِّرٍ لضمون ما قبله، كأنه قيل: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلِهَا، وَمَا رَبُّكَ بِتَارِكٍ مُجَازَاةٍ أَحَدٍ أَصْلًا، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ

جزاء الله للناس
ينبني على
كماله في الذات
والصفات

للعبيد⁽¹⁾. ويصح أن تكون الواو للاستئناف، والجملة تذييل تنبني عليه قاعدة الجزاء في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾، فالجملة كالأصل الثابت التي تنطلق منه هذه القاعدة⁽²⁾.

دلالة النفي بـ (ما):

(ما) النافية في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ هي الحجازية تعمل عمل (ليس)، وكل (ما) في القرآن فهي حجازية⁽³⁾. وهي تفيد نفي الحال عند الإطلاق، وإذا قيّدت فهي بحسب ذلك التقييد، ولذا فهي تُفيد هنا نفي الاستقبال، واستمرار النفي، فنفي الظلم عن الله مُستمرٌّ دائم⁽⁴⁾.

الغرض من الإضافة في: ﴿رَبُّكَ﴾:

التعبير بالربوبية مع إضافتها لضمير خطاب الرسول ﷺ جرياً على نسق النظم في السياق السابق في قوله: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾ [فصلت: 38]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، وجميعها في مقام تسليية رسول الله ﷺ وتثنيته، فقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ﴾ تعزيز لهذه التسليية مع ما فيها من التشريف والإكرام الظاهر لشخص النبي ﷺ والتثويه بمقامه. التعبير بقوله: ﴿رَبُّكَ﴾ فيه ربط للرسالة والنبوة بمبدأ العدل في الجزاء، فكأنه - سبحانه - يقول لرسوله ﷺ: رسالتك قائمة على العدل، فلا ظلم في شرع الله. وهذا مفهوم من الإضافة إلى ضميره ﷺ. إضافة (رب) إلى النبي ﷺ تلفت الانتباه إلى أن الأمر قاطع محسوم: هذا هو الرب الذي أرسلك، وهو المنزه عن الظلم، فلا مجال لاعتراض المعاندين على عدالة الجزاء.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 210.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 12 / 382.

(3) ابن عثيمين، تفسير سورة فصلت، ص: 280.

(4) السامرائي، معاني النحو: 1 / 252.

كل (ما) في
القرآن حجازية
لا تميمية

الخطاب
بالربوبية لا
يخلو أبداً من
إنسان المخاطب
وتطمينه

طمأنة الرسول
بأن دعوته قائمة
على العدل
للطلق

إقناع المكذّبين
بعدالة الجزاء
الإلهي؛ لأن رب
محمّد ليس
بظلام

تأكيد العلاقة
بين الربوبية
والتدبير العادل

الخطاب بالربوبية في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ تعني التدبير والرعاية، فمن كمال الربوبية أن يقع الحكم بالعدل، فلا يظلم الله أحداً؛ فاخيار ﴿رَبُّكَ﴾ بدلاً من (الله)، أو (الرحمن) يلفت إلى أن الذي يُدبر الأمر ويربي الخلق لن يكون ظالماً لهم.

معنى الباء في: ﴿بِظَلَمٍ﴾:

الباء في قوله: ﴿بِظَلَمٍ﴾ صلة زيدة لتأكيد استحالة الظلم في حق الله، فالباء مؤكدة لنفي الخبر عن الله سبحانه، وما أكثر ما يقترب خبر (ما) - في القرآن - بالباء الزائدة للتأكيد⁽¹⁾.

دلالة التعبير بصيغة: (ظلام):

صيغة (ظلام) في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ هي صيغة نسبة لا صيغة مبالغة، وهناك وجه حسن أشار المفسرون إليه⁽²⁾، وهو أن الله سبحانه يحسن أن ينتفي عنه الظلم والنقص على جهة المبالغة والتكثير؛ لأن كل نقص في حقه سبحانه - مهما صغر - هو بالنسبة إلى ذاته العلية بالغ وعظيم؛ فالصفات على قدر الذوات، فالتحاق النقص به بأي وجه من الوجوه هو أعظم وأبلغ في القبح والذم من أعظم وأشد أنواع النقائص التي تلتحق بسواه، فثبت أن كل نقص في حق الله ولو كان ضئيلاً هو أبلغ ما يكون وأعظم ما يكون؛ ولتلك العلة وهذا الأصل نفى الله عن نفسه الظلم ولو في مثقال ذرة، ولو في القطمير والتقيير والفتيل؛ لأن ذلك كله في حقه وبالنسبة لذاته العلية هو من أبلغ وأشنع ما يكون. فثبت بذلك أن نفي الظلم عن الله ببناء المبالغة؛ لتقرير هذا المعنى الشريف الذي يزيد من إجلال العبيد لمقام الرب الحميد ﷻ.

ورود النقص
على الذات
الكاملة بالغ
وعظيم

(1) السامرائي، معاني النحو: 1/ 254.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 210، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 319.

العبيد
مقهرون لا
يملكون اعتراضاً
ولا حيلةً

سِرُّ التَّقْيِيدِ بِالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ: ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾:

قَيَّدَ نَفْيُ الظُّلْمِ بِالْعَبِيدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؛ لِأَنَّ الْعَبِيدَ هُمْ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى عَدْلِ اللَّهِ، فَلَوْ لَمْ يَنْتَفِ الظُّلْمُ عَنِ اللَّهِ - وَحَاشَاهُ - لَهَلَكُوا وَضَاعُوا، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ سِرُّ التَّعْبِيرِ بِ(الْعَبِيدِ) دُونَ (الْعِبَادِ)، وَهُوَ إِبرَازُ شِدَّةِ ضَعْفِهِمْ؛ لَشِدَّةِ احتِياجِهِمْ لِعَدْلِ اللَّهِ وَانْتِفَاءِ الظُّلْمِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ. فَعَبَّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِأَضْعَفِ حَالَتِهِمْ، فِي مُوَاجَهَةِ كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ وَانْتِفَاءِ النِّقْصِ عَنْهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: الْعَدْلُ أَنْفَعُ مَا يَكُونُ لِلْعَبِيدِ لِأَنَّهُمْ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِ⁽¹⁾. وَفِي التَّعْبِيرِ بِالْعَبِيدِ إِيْمَاءٌ لَطِيفٌ: وَهُوَ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ الظُّلْمُ مِنَ النَّاسِ هُمُ الْعَبِيدُ؛ لَضَعْفِهِمْ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِمْ وَعَدَمِ اعْتِرَاضِهِمْ عَلَى الظُّلْمِ، فَمَنْ يَظْلِمُهُمْ هُوَ فِي مَأْمَنٍ مِنْهُمْ فِي الْغَالِبِ وَالْعَادَةِ، فَكَأَنَّ اللَّهَ الْجَلِيلَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ أَبَدًا وَلَوْ كَانُوا عِبِيدًا ضَعْفَاءَ لَا يَنْهَضُونَ لِمَعَارَضَةِ مَنْ يَظْلِمُهُمْ، فَالتَّعْبِيرُ بِالْعَبِيدِ فِيهِ تَعْضِيدٌ وَتَقْوِيَةٌ لِلْمُبَالَغَةِ فِي نَفْيِ الظُّلْمِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ.

وَقِيلَ: مَدْلُولُ (عَبِيد) هُوَ مَدْلُولُ (عِبَاد) سِوَاهُ، وَحَسَنَ مَجِيءُ (عَبِيد) هُنَا لِأَطْرَادِ الْفَوَاصِلِ، فَالْفَوَاصِلُ قَبْلَهُ: ﴿حَمِيدٌ﴾، ﴿تَعَبِيدٌ﴾، وَالْفَاصِلَةُ بَعْدَهُ: ﴿شَهِيدٌ﴾ (فصّلت: 47)⁽²⁾.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/ 461، وأبو حيان، البحر المحيط: 3/ 230، والبقاعي، نظم الدرر:

210 / 17

(2) السمين، الدرر المصون: 3/ 274، 275.



عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 52 ، 818 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 3-48-641-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 3-48-641-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"